J

الحمد لله المنعم المتفضل ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن عادة الناس اختيار ما تميل إليه نفوسهم من أطايب الطعام وأحسن اللباس والأثاث، مما ترتاح إليه القلوب وتُسّر بمنظره العيون، وقلّما يخطر ببالهم اختيار أطايب الكلام ونفائس الحِكم والأمثال، التي ترتاح إليها الآذان، وتبتهج لسماعها العقول والأذهان.

وما أحوج شباب الأمة في عصرنا الحاضر الذي ادلهمَّت فيه الخطوب والفتن أن يتمسكوا بالعروة الوثقى، ويعتصموا بحبل الله المتين، ويتبصروا بالأخطار المحدقة بهم، ويفتحوا قلوبهم ومسامعهم لتلك الوصايا النافعة والكلمات الجامعة والحكم الماتعة التي ترسم لهم معالم الطريق، وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الحق فهي نعم الرفيق، لأنها مستقاة من مشكاة النبوة، ومن بدائع حكم السلف الصالح، الذين أشرقت نفوسهم بالحكمة، وفاضت قلوبهم بمحبة الناس والشفقة عليهم، فكانت وصاياهم كالطبيب المداوي الذي يشخِّص الداء ويصف الدواء .

ومن أبرز هذه الحكم والوصايا والتوجيهات وصايا المعلمين والمربين لتلاميذهم ووصايا الآباء لأبنائهم.

ولا شك أن حرص الأب على ابنه عاطفة فطرية، فهو يرى فيه فلذة كبده، ومهجة قلبه، وقرة عينه، وامتداد وجوده، وهو مِنْ عمله الذي لا ينقطع بعد موته إذا أحسن تربيته.

وحاجة الابن إلى نصيحة أبيه حاجة أكيدة، وخصوصاً في أوائل الشباب، سنّ الحيوية الدافقة، والإقبال على الحياة، ولا سيما مع قلة التجربة، وكثرة الفتن و انتشار المغريات بالرذيلة، والمعوقات عن الفضيلة، وقوة أعوان السوء، وضعف أعوان الخير .

obeikandi.com

لهذا تكون نصيحة الأب هنا لها قيمتها وتأثيرها، فهو يعطيه خبرة عمره وثمرة تجربته، وحصاد فكره ومعاناته، وهو يريد أن يستكمل فيه ما نقص عنده ويعوِّض فيه ما فاته، وليس هناك أحد يتمنى لإنسان أن يكون أفضل منه وأسعد وأعلى إلا ولده [١].

وتأمل قول الإمام أبي الوليد الباجي في وصيته لولديه : (اعلما أنه لا أحدٌ أنصح مني لكما، ولا أشفق مني عليكما، وأنه ليس في الأرض مَنْ تطيب نفسي أن يُفضَّل عليَّ غيركما) [٢].

وقد قيل : (من أدَّب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً)[٣].

وقيل أيضاً : (عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجَمال في المحفل) [٤].

وقال أحد الحكماء : (الأدب غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسم) [٥].

وقال آخر : (الكلام الفائق بالخط الرائق نزهة العين وفاكهة القلب وريحانة القلوب) [٦].

وقد حفل تراثنا بوصايا كثيرة من الآباء للأبناء، ونصت آيات القرآن الكريم على أهم تلك الوصايا وأبدعها، وهي وصية سيدنا يعقوب لأبنائه وهو على فراش الموت :

M أَمۡ © شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا ´ µ ¶ ¸ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ L [٧].

ولا شك أن الوصية بتقوى الله عز وجل هي رأس الوصايا وأساسها وعنوانها، وهي الوصية التي أوصى الله عز وجل بها جميع أنبيائه وعباده، فقال تعالى M p o n m l k j i h

(١) مقتبس من تقديم الدكتور القرضاوي لرسالة " إلى ولدي " نظم محمد الأنصاري ص/ ١٠ .

(٢) من رسالة : وصية الإمام الباجي لولديه – اعتنى بها : جلال علي الجهاني – ص/ ٢٥، وانظر مختارات من هذه الوصية النفيسة في ثنايا هذا الكتاب.

(٣) جامع بيان العلم وفضله – للإمام ابن عبدالبر – ص/ ١٠٠

(٤) الكامل للمبرد ١ / ٦٧.

(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - للثعالبي - ٢ / ٩٣٥ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) سورة البقرة : آية ١٣٣ .

obeikandi.com

z y x w v u t s r q | { ~ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ۝ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ L [1].

وقد جاء في الحديث عن العرباض بن سارية t قال : (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال :(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ..)[2].

أهمية التناصح والتواصي :

ما أحوج المسلم إلى التذكير والوصايا النافعة التي توقظ من الغفلة وتغذي القلب، وتقوي الهمة والعزيمة، وترشد إلى طريق السعادة والفلاح.

قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / 0 1 L .

وقد أورد الطبراني عن ثابت بن عبيد الله بن حصن قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وقال الشافعي : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم[3].

ومما يؤكد أهمية الوصايا في حياة المسلم، ومنزلة أهل الايمان الذين يحرصون على التناصح والتواصي قول الله عز وجل : M ثُمَّ كَانَ مِنَ ´ µ ¶ ¸ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ L [3].

وعن تميم بن أوس الداري t أن النبي ﷺ قال : (الدين النصيحة ، قلنا: لمن؟ قال : لله، ولكتابه،

---

(١) سورة النساء: آية ١٣١.

(٢) رواه الترمذي – رقم/٢٦٧٨، وأبو داود – رقم/٤٦٠٧، وابن ماجه – رقم/٤٢ ، وأحمد في المسند ٤/١٢٦

(٣) تفسير ابن كثير – ٤/٥٤٧.

(٣) سورة البلد /الآيتان ١٧ -١٨.

(٢) رواه مسلم – رقم / ٥٥.

obeikandi.com

ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم) [٤].

قال الإمام النووي رحمه الله : (ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه، إكرام قارئه وطالبه، وإرشاده إلى مصلحته، والرفقُ به، ومساعدته على طلبه بما أمكنه، وتألفَ قلب الطالب، وأن يكون سمحاً بتعليمه في رفق، مُتلطفاً به، ومُحرضاً له على التعلُّم) [٥].

فالنصيحة عماد وأساسٌ لهذا الدين، والكلمة الطيبة تحيي النفوس وتروي ظمأ القلوب

* قال أبو عتبة الخولاني : (رُب كلمةٍ خيرٌ من إعطاء المال) [٦].

* وقال أبان بن مُسلِم : (كلمةُ حكمةٍ لك من أخيك خيرٌ لك من مال يعطيك، لأن المال قد يطغيك، والكلمة تَهديك) [٧].

* وقال الشعبي : (لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت أن سفره ضاع) [٨].

* قال عبدالله بن الأعرابي[٩] :

لنا جلساءٌ ما نملُّ حديثهم ... ألبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علمَ مامضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مُسَدَّدا

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن – ص / ٣١.
(٤) بهجة المجالس ١ /٥٤.
(٧) المرجع السابق ١ /٥٤.
(٦) المرجع السابق ١ /٣٧.
(٩) المرجع السابق ١ /٥١.

obeikandl.com

نماذج من وصايا العلماء لأبنائهم وتلاميذهم

ما أبدع تلك الوصايا التي لا يملُّ السامع من تكرارها والتأسي بها، وتربية أبناء الأمة على التمسك بها.

* ومن نماذج هذه الوصايا البديعة وصية الإمام جعفر الصادق رحمه الله لابنه موسى حيث يقول له:

(يا بني كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلاً ...

يا بني إن زرت فَزُر الأخيار، ولا تزُر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضرُّ ورقها، وأرض لا يظهر عشبها) .

* كما حرص الخلفاء على توجيه الوصايا لمعلمي أبنائهم، ومن نماذج ذلك وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده، حيث قال له : (علّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن .. واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب)[1].

ووصية هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين، والتي يقول فيها: (إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبه ... أقرِئه القرآن، وعَرّفه الآثار ورَوِّهِ الأشعار، وعلِّمه السنن، وامنعه الضحك إلا في أوقاته ... ولا تمرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مُغتنمٌ فيها فائدة تفيده إياها ...) [2].

* وعن يوسف بن الحسين قال: قال أحمد بن أبي الحواري :

(صحبت أبا سليمان طول ما صحبته، فما انتفعتُ بكلمة أقوى عليَّ وأهدى لرشدي وأدلَّ على الطريق من هذه الكلمة :

---

(١) لباب الأدب لأسامة بن منقذ – ص/ ٢٣٠.

(٢) شرح مقامات الحريري ٥/ ٢١٥ .

obeikandl.com

قلت له : أوصني.

قال: أمستوصٍ أنت ؟

قلت: نعم إن شاء الله .

قال لجالف نفسك في كل مراداتها، فإنها الأمارة بالسوء، وإياك أن تحقر أحداً من المسلمين، واجعل طاعة الله دِثاراً، والخوف منه شعاراً، والإخلاص زاداً، والصدق جُنَّة[١١] اقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها، إنه من استحيى من الله عز وجل في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلَّغه إلى مقام الأولياء من عباده) [١٢].

* وأورد الإمام ابن عبدالبر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) أن رجلاً كتب إلى أخٍ له : (إنك قد أوتيت علماً، فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب، فتبقى في ظلمةٍ يومَ يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة).

* كما أورد أن يحيى بن خالد بن برمك قال لابنه : (**يا بني**، خذ من كل علمٍ بحظٍ وافر، فإنك إن لم تفعل جهلتَ، وإن جهلتَ شيئاً من العلم عاديته، وعزيزٌ عليَّ أن تعادي شيئاً من العلم) [١٣].

* وأورد الإمام الذهبي عن التابعي الجليل هَرِم بن حيَّان رحمه الله أنه قيل له : أوصنا، فقال : (أوصيكم بخواتيم سورة البقرة) [١٤].

* وقال أحد الحكماء وهو يوصي ابنه : (استعد لحريق الغضب بالأناة، قبل أن تلتهب ناره في لحمك ودمك، فإنَّ إطفاءَه قبل استيثاره سريع، وإذا اشتعل قبَّح محاسنك) [١٥].

---

(١١)أي: وقاية.

(١٢) تهذيب الكمال للمزي – ١ / ٣٧٣ .

(١٣)جامع بيان العلم – ص/ ٧٤.

(١٤) سير أعلام النبلاء – ٤ / ٤٨.

(١٥) المجالسة وجواهر العلم - للدنيوري – ٥ / ١٦٧.

obeikandi.com

* وأوصى أحد الحكماء بنيه، فقال لهم : (أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولايجد من يعيره لسانه) (١٦).

* ومن أبرز الوصايا التي احتفظت بها المصادر من العصر الجاهلي : وصايا أكثم بن صيفي حكيم العرب وقاضيها(١٧)ومنها قوله : (يابني قد أتت عليَّ مائتا سنة، وإني مزودكم من نفسي: عليكم بالبر فإنه ينمي العدد، وكفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه..ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه،..البطر عند الرخاء حمق،..ولاتغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، ولا تجيبوا فيما لا تُسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه، ..ولا تمنعكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه) (١٨).

* وتزداد حاجة الأبناء لوصايا الآباء إذا أصبح الأب كبيراً في السن، عاجزاً عن متابعة أبنائه والوقوف إلى جانبهم في معترك الحياة، ولهذا قال عبيدة بن الطيب لأبنائه :

أُبني إني قد كبرتُ ورابني ... بصري، وفيَّ لمصلح مستمتعُ
أوصيكمُ بتقى الإله، فإنه ... يعطي الرغائب من يشاء ويمنعُ
وببرِّ والدكم وطاعة أمره ... إن الأبرَّ من البنين الأطوعُ
ودعوا الضغينة، لاتكن من شأنكم ... إن الضغينة للقرابة توضعُ
واعصوا الذي يُزجى النمائم بينكم ... متنصِّحاً، ذاك السهام المنقع(١٩)

(١٦) لباب الآداب – لأسامة بن منقذ – ص/ ٢٠.

(١٧) أكثم بن صيفي التميمي، حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً، وأدرك الاسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الاسلام فمات في الطريق، وهو المعني بقوله تعالى : Mوَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ١٠٠ L الأعلام ٢/ ٦.

(١٨)وصايا الآباء الى الأبناء – للدكتور محمود شاكر سعيد – ص/ ٦٤ نقلاً عن : المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني – ص/ ١٤.

(١٩)مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – للأستاذ أحمد قبش – ص/ ٥١١.

وهكذا أثمرت هذه الوصايا، وانتفع بها الناس جيلاً بعد جيل، لأنها صادرة من قلوب نابضة بالإيمان ، وأفواه تشدو بينابيع الحكم، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وقد وفقني الله عز وجل لاختيار مجموعة من نفائس الوصايا الموجهة من الآباء لأبنائهم، ومن المعلمين والمربين لتلاميذهم[٢٠]، لتكون نبراساً يضيء طريق الهداية للشباب، ومنهجاً تربوياً لأبنائنا طلاب المعاهد القرآنية والمراكز الصيفية، ومعيناً ينهل منه الدعاة والخطباء.

سائلاً المولى عز وجل أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه،

وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور أنس أحمد كرزون

(٢٠) وقد اكتفيت بهذين النوعين من الوصايا كمنهج لطلاب العلم ومعاهد تحفيظ القران الكريم، وهناك أنواع أخرى من الوصايا حفلت بها كتب الأدب والتراجم، ومنها : وصايا الخلفاء إلى أمراء الجيوش وولاة الأمصار، ووصايا الزواج، والوصايا على فراش الموت، ومن أبرز الكتب التي تحدثت عن هذه الوصايا : وصايا العلماء عند حضور الموت للإمام أبي سليمان الربعي (ت ٣٧٩هـ) وكتاب : الثبات عند الممات للإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

openkandl.com